

حب الرئاسة والحسد

الحمد لله الذي فضلنا على الأمم بسلامة المنهج وغزارة العلوم، ورزقنا ما لم يرزقهم من قوة الحجّة وصحة الفهوم، وصلى الله على نبينا محمد البالغ من الشرف أقصى المبروم، وعلى آله وأصحابه صلاة تدوم؛ أما بعد:

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنَّ أوَّلَ الناسِ يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة: ... ورجل تعلّم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: تعلّمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن. فقال: كذبت، ولكنك تعلّمت ليُقال هو عالم، فقد قيل، وقرأت القرآن ليُقال هو قارئ، فقد قيل. ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه حتى ألقي في النار...).

أخرج الخطيب في الجامع (321/1) بسنده إلى أبي إسحاق الفزاري قال: قال لي سفيان الثوري: (حب الرئاسة؟ تهيأ للنطاح. كان يقول: من طلب الرئاسة وقع في الدياسة) ومعنى وقع في الدياسة: أي وقع في الذل والهوان، ويقال: داس فلانا دياسة أذله ووطئه برجله.

وعن أبي حنيفة رحمه الله قال: (من طلب الرئاسة قبل وقتها عاش في ذلّ) قلت: صدق رحمه الله وغفر له زلاته، ولقد عاينت كثيرا من المتصدرين من يملك شيئا من العلم، وعددا من المستعجلين الحاسدين هنا في الجزائر، فأخذوا يناطحون العلماء كابن باز وابن عثيمين والفوزان وربيعة بن هادي بلا قرون، بل بعضهم تفوه قائلًا: لا نريد علم علماء المملكة الحنابلة كابن باز وابن عثيمين والفوزان فقد كفانا المؤنة الشيخ الألباني، والحمد لله أن عرفنا المنهج من طريق الألباني، سالكا هذا المغرور طريق السحرة في التفريق بين العالم وأخيه، وقال الصنف الثاني: قد بلغنا السقف في العلم فلا نحتاج إلى أحد ممن يقال عنهم أنهم علماء!!

بل الغريب في الأمر حتى يكاد المرء يضحك من رجليه أنك تجد بعض المستعجلين

يتناظرون ويتناطحون حول من أدخل السلفية إلى الجزائر!!، وكل غرّ يزعم أنه هو الذي بذر نواة السلفية في ناحيته، وهو مالك الأمر العتيق، ويجب على الناس جميعاً أن يدخلوا تحت لوائه، ومن استنكف وقال: هذا صنيع العيال؛ علينا أن نشغل أنفسنا بالجد في الطلب والتعاون على البر والتقوى، والعودة إلى العلماء في الأمور الصعبة، وعلينا أن نترك التناوش والتحريش، رموه بسهام مسمومة، وحاربوه بالكذب والشايات، ولفقوا حوله قصصاً ما خطرت في ذهن كل كاذب. وهكذا مع إخوانهم السلفيين يصنعون، وفي المقابل فرق أهل الأهواء تمكن لنفسها ببناء المركز والمدارس، وتكد في نشر مناهجها وطرقها.

فالتحصيل قليل، والبضاعة مزجاة، والنفوس ذليلة، والألسنة طويلة، والفرقة بانة رائحتها، ومع كل هذا نجد بعض المستعجلين من هو باخع نفسه وراء طلب الرئاسة، ويقول عن نفسه: أنا الإمام أحمد في الجزائر، أنا الأصل وما دوني فروع، أنا إذا تكلمت أصغى إليّ الطير، أنا... أنا... أنا.. لا أعلم يحبر، ولا آداب تنقل، فقد أفسد هذا الصنف فطرة الشباب والله المستعان.

يا هذا تواضع ولا تتحامق، ولا ترتفع واعرف قدر نفسك، وحقّ أساتيدك ومعلميك، واتهم نفسك لتنجوا، وإلا فأنت على خطر عظيم، ولا تحسبن نفسك بمعزل عن هذا الداء فقد قالوا: (حب الرئاسة آخر ما يخرج من رؤوس الصالحين)، وانخفض جناحك لإخوانك الدعاة، وترك محاربتهم، والظعن فيهم بالباطل خوفاً على كرسيك الوهمي، ولا تستغل معارفك في إيذاء السلفيين، وإن كنت فحلاً فوجه سهامك إلى أهل الباطل من الفرق الضالة، وتذكر قول شعيب بن حرب الذي أخرجه الخطيب في الجامع ((من طلب الرئاسة ناطحته الكباش، ومن رضي بأن يكون ذنباً، أبي الله إلا أن يجعله رأساً)) أخرج البخاري في كتاب الجهاد والسير باب ناقة النبي بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة تُسمى العضباء لا تسبق - قال حميد: أو لا تكاد تسبق - فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه فقال:

((حقّ على الله أن لا يرتفع شيءٌ من الدنيا إلا وضعه .)) (وفي رواية) (إن حقا على الله عزوجل أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه)
قال ابن قيم الجوزية في الفروسية (ص 91 فصل مسابقته بين الإبل): (قلت: تأمل قوله في اللفظ الأول: [أن لا يرتفع شيء]، وفي اللفظ الثاني: [أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه]، فجعل الوضع لما رفع وارتفع، لا لما رَفَعَهُ سبحانه، فإن سبحانه إذا رفع عبده بطاعته، وأعزه بها لا يضعه أبدا)

وحب الرياسة والزعامة من الدنيا، وسببها العجب والغرور، وقد قيل: (العجب يهدم المحاسن) وقيل: (إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله)، وقيل: (ولا ترى المعجب إلا طالبا للرئاسة)، وقال أبو نعيم: (والله ما هلك من هلك إلا بحب الرئاسة). والمر في الأمر أن من طلب الرئاسة داس على رقاب الناس، قال فضيل بن عياض: (ما أحب أحد الرئاسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس، وكره أن يذكر أحد بخير) وأختم هذا المقال الذي استفادت بعضه من تعليق الأخ مشهور حسن على جزء تعظيم الفتيا لابن الجوزي بأبيات لابن عبد البر:

حب الرئاسة داء يخلق الدنيا** ويجعل الحق حربا للمحيينا.
يفري الحلاقيم والأرحام يقطعها** فلا مروءة تبقى ولا ديننا.
من دان بالجهل أو قبل الرسوخ** فما تلفيه إلا عدوا للمحقيننا.
يشنئ العلوم ويقلي أهلها حسدا** ضاهى بذلك أعداء النبيينا .

نسأل الله تعالى إيماننا صادقا يقبل بقلوبنا إلى طلب الآخرة ويعرض بها عن زخارف الدنيا الفانية، وأن يجعل أعمالنا قائمة بمقتضى العلم الشرعي، وينجيننا من الرياء وحبّ الرئاسة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وكتبه أبو عبد الباري عبد الحميد
أحمد العربي الجزائري.